البروليتاري

نظرية صراع الطبقات

الجزء الرابع

راهنية الفكر الماركسي وامتداداته

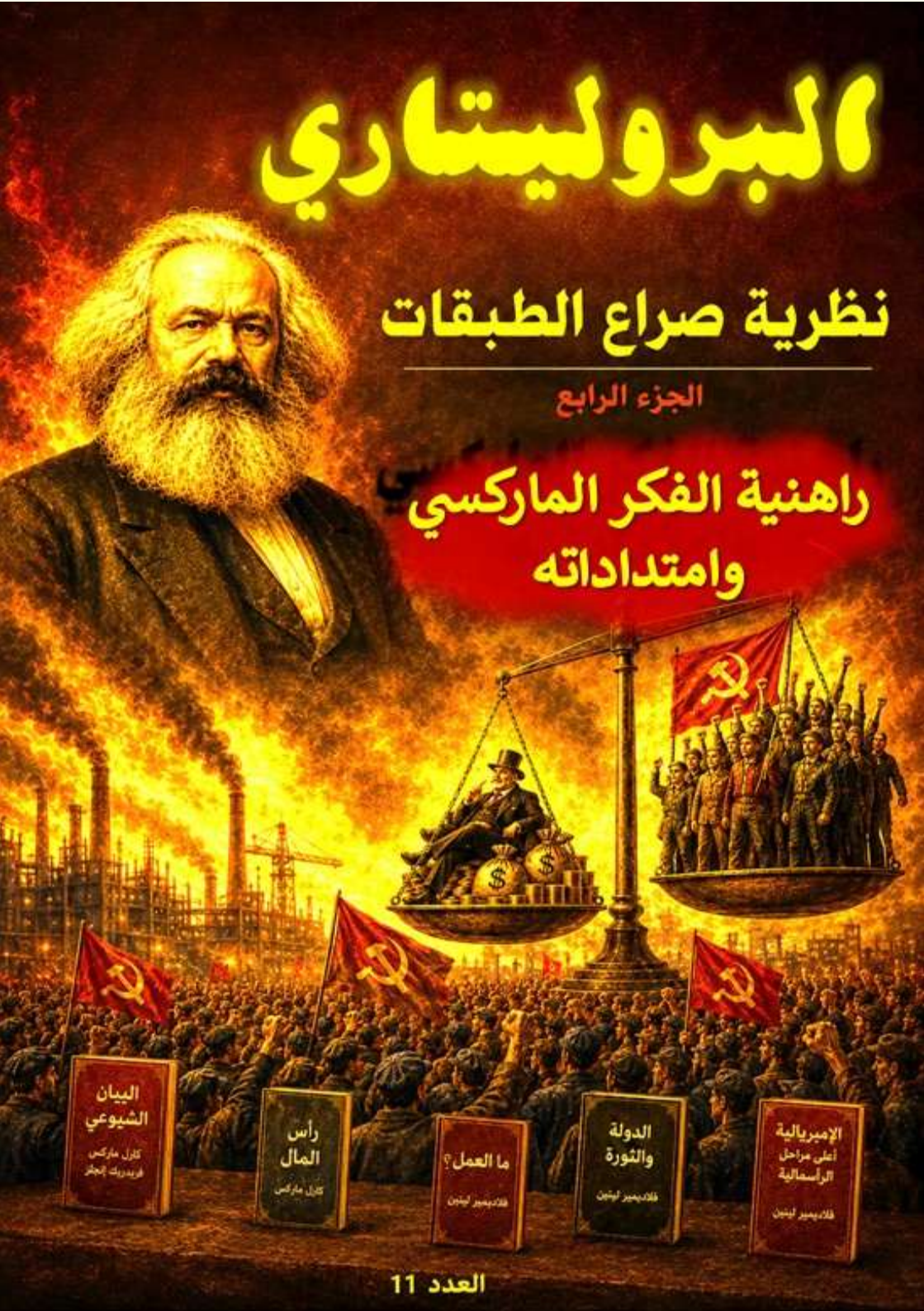

العدد 11

نظرية صراع الطبقات

الجزء الرابع

راهنية الفكر الماركسي و امتداداته

(مناقشة لبعض الإشكاليات المزيفة حول الماركسية)

سنطرح هنا أهم الأطروحات، التي راجت لفترات طويلة حول ما يسمى بتقادم الماركسية في هذا الجانب أو ذاك، في أطروحاتها الأساسية، إضافة لمناقشة بعض النصوص وأهمها ("في التحليل الماركسي للطبقات الاجتماعية في نمط الإنتاج الرأسمالي"، المجلة الاشتراكية الكيبيكية).

1- تصادف المناضل **المبتدئ** و**غير المبتدئ** أطروحات انتشرت خلال القرن 20 و ظلت ممتدة إلى يومنا هذا، يهاجم أصحابها أحيانا الماركسية بشكل سافر، وبعضهم يبدون نوعا من التعاطف مع الماركسية كأسلوب أذكى لمهاجمة الفكر الماركسي. و من الأساليب المستعملة في عملية الهجوم القيام بعزل كارل ماركس عن فردريك انجلز، و فصلهما معا عن لينين، حتى يسهل مهاجمة ما يسميه خصوم الماركسية بالماركسية، فماركس الفيلسوف لا علاقة له بماركس الاقتصادي أو العالم، و ماركس العالم الاقتصادي لا علاقة له بانجلز الفيلسوف مؤسس المادية الجدلية، و يتم إبعاد لينين عنهما حتى يسهل فصل الماركسية عن الماركسية الثورية في صيغتها اللينينية باعتبارها التطور الأساسي للفكر الماركسي في عصر مرحلة الامبريالية و الثورة الاشتراكية،

فليست هناك إلا ماركسية واحدة، إنها الماركسية – اللينينية بأبعادها الفلسفية و الاقتصادية و السياسية و الإيديولوجية و التنظيمية.

و من بين المواضيع العزيزة على الفكر البورجوازي هو الإشكالية المتعلقة **باختفاء** أو **بقاء** الطبقات الاجتماعية في ظل المجتمعات المعاصرة.

و من باب التذكير، و بالقيام بملاحظة المجتمع، يمكن أن نحصر امبيريقيا، مجموعات من الأفراد لهم خاصية أنهم لديهم نفس المميزات، فيما يخص المداخل و الوضع في سلم البريستيج و السلطة، و كذلك نفس التصرفات، أي تشكل ردود فعل بنفس الطريقة، بل و ينتظمون أحيانا للدفاع عن مصالحهم المشتركة. إن هذه التشابهات و هذا التقارب بين بعض الأفراد، اللذين يشكلون المجتمع دفعت **البعض** إلى **الحديث عن طبقات اجتماعية** لوصف هذه الجماعات، علما أن هذه الأخيرة **ليس لها وجود قانوني أو شرعي**. إن الطبقات الاجتماعية إذن حسب هذا

التصور، هم مجموعات اجتماعية يمكن ملاحظتهم، **حيث لا توجد تراتبية اجتماعية رسمية** كما كان زمن النظام الإقطاعي، و لا كذلك **مسجلة كقانون**.

هناك العديد من المميزات التي تسمح بتحديد هذه الطبقات الاجتماعية:

- نوع من **الوراثية الاجتماعية**، الشيء الذي يعني أن الأفراد **المنبثقين** من طبقة اجتماعية و **المنحدرين** منها يظلون في طبقتهم، هكذا، فالأوضاع الاجتماعية تتجه نحو **إعادة التجدد** من جيل لأخر.

- يحتلون وضعا مشابها في **العلاقات الاجتماعية للإنتاج**، فبحكم الدور الذي يلعبونه في عالم الإنتاج فإن الأفراد ينسجون بينهم إما **علاقات تعاون** و إما **علاقات نزاع وصراع**.

- مستويات **مواردهم** و **أنماط** الحياة المتقاربة.

- **الإحساس المشترك** بالانتماء لنفس الجماعة.

يرى الكثير من علماء الاجتماع البورجوازيين أن **بنية** و **تطور المجتمعات الحالية** تتجه نحو **تكذيب التحليل الماركسي** على مستويات مختلفة.

ومن باب التذكير، فإن الدينامية الداخلية لنمط الإنتاج الرأسمالي يجب أن تؤدي إلى **تمقطب ثنائي** للمجتمع، بين، من جهة البورجوازية الرأسمالية التي تمتلك وسائل الإنتاج وبين البروليتاريا من جهة أخرى و المحرومة من وسائل الإنتاج و التي تكون ملزمة، من أجل ضمان عيشها أن تبيع للرأسمالي الملكية الوحيدة، التي تمتلكها و هي **قوة عملها**، فعن طريق هذه **العلاقة الأجرية الضرورية**، حيث تتحول قوة العمل إلى **بضاعة**، **تتأسس علاقة سيطرة وتناقض عدائي أساسي بين طبقتين**.

من باب الادعاء الزعم بأن هذه القطبية الثنائية قد اختفت، لأن ذلك يعني نهاية الرأسمالية، إنها لسخافة حقا.....!!!

ومن أجل ذلك، يدعون تارة أن البورجوازية و البروليتاريا قد انقرضتا، و تارة أخرى أن البورجوازية هي الطبقة الوحيدة التي لا زالت قائمة، بينما الطبقة العاملة قد اختفت.

2 – هل هناك اتجاه نحو انقراض الطبقة العاملة؟

خلال قرن كان هناك تراجع تدريجي للفلاحين و البورجوازية الصغيرة الفلاحية و التجارية و صعود للرأسمال الكبير (بناء وحدات إنتاجية ضخمة و عملاقة) و كذلك الزيادة الكمية للطبقة العاملة، الشيء الذي كان يؤكد التحليل الماركسي، و في سنوات الستين كان عمال الصناعة قد أصبحوا في كل البلدان المتطورة الفئة الاجتماعية الأكثر عددا، و الأكثر انسجاما عن طريق ظروف عملهم و نمط حياتهم، لكن شيئا فشيئا، فإن هذا التأجير المتنامي المرتبط بانخفاض عدد **المستقلين** سيقع تغيير سريع في بنية هذا النظام الأجري، مع صعود الأطر العليا و المتوسطة و المثقفين و الموظفين و المستخدمين، أي ما أصبح يطلق عليه **"ذوي الياقات البيضاء"** والطبقات المتوسطة.

ابتداء من 1970، بدأ يلاحظ نقصان الطبقة العاملة (نعني في الغرب)، و خلال الفترة المسماة **"الثلاثون سنة المجيدة"** وقع تحسن نسبي ملحوظ في ظروف حياة و عمل الطبقة العاملة و المشاركة المنتظمة في نتائج النمو من طرف جماهير واسعة من العمال، و تم **ترسيم** الحد الأدنى من الأجور و الحماية الاجتماعية و تطور قانون الشغل، و هذا مما سمح للعمال بالولوج إلى حياة أفضل و الاندماج في النسيج الاجتماعي، بل بدأ الحديث عن **تبرجز العمال**. هكذا إذن، بدأ عالم العمال يفقد خصوصيته بالنسبة لمجموعات أخرى داخل المجتمع.

بدأ العمال يساهمون نسبيا في **الاستهلاك الواسع**، و بدأوا يتصرفون مثل الطبقة المتوسطة مما أدى إلى **فقدان الوعي الطبقي**، و تراجع هام في النزاعات العمالية، خاصة بين العمال و الباطرونا، الشيء الذي عزز انتشار القول بهذه الأطروحة المزعومة حول نهاية الطبقة العاملة.

ا- يقول علماء الاجتماع البورجوازيين، بأنه بسبب **انفتاح** الطبقة العاملة، تراجعت توجسات الصراع الاجتماعي. هنا طرح السؤال حول ماذا بقي من أطروحات ماركس حول **التفقير** و **الاستغلال المتنامي للعمال** وحول **تجدر التناقضات الطبقية**.

هل لا زالت بالنسبة للطبقة العاملة نفس الأسباب لخوض الصراع ضد الطبقة المسيطرة؟

سيحاول علماء الاجتماع البورجوازيون الإجابة على هذا السؤال بإدخال ما لديهم من **الترسانة البورجوازية** التي تعج بها السوسيولوجيا المعاصرة:

فحسب زعمهم، فمفهوم **الطبقة الاجتماعية لم يعد متكيفا** مع ظهور فئات جديدة من الأجراء، يتوفرون على كفاءات تقنية و **لديهم سلطة** هامة في القرار داخل وحدات إنتاجهم، هكذا **فالمديرون** في المقاولة و **الأطر العليا** و **الموظفون الكبار** هم **حسب المعنى الماركسي**،كما يدعون، **بروليتاريون**.

و حسب بعضهم، فقد أظهر غلبرايت أن المراقبة الفعلية لوسائل الإنتاج أصبحت تفلت من أيدي الرأسماليين بالمعنى الخاص، المقصود بها من يستثمرون، فإن إدارة و تدبير المقاولات أصبح في أيدي من يسميهم بالبنية التقنية، و المقصود هنا الأطر و مهندسو المقاولات اللذين يصنعون استراتيجيات من أجل خدمة مصالحهم الخاصة.

و يدعي الكتاب المنتمين إلى هذه المدرسة قائلين أن مثل هذا التحليل يعيد النظر في المنظور الماركسي **لملكية الرأسمال كمعيار لتحديد الطبقة المسيطرة**، و يخلصون إلى أن أغلبية علماء الاجتماع الحاليين، يعتبرون أن مثل هذه التطورات للمجتمعات المعاصرة تؤدي إلى **رفض** النظريات الماركسية.

لقد دمرت "العولمة الجديدة" أسس هذه النظريات نتيجة التأثيرات التي أدخلتها على بنيات الإنتاج والعلاقات الاجتماعية، والمزيد من البلترة لفئات واسعة من الجماهير داخل المؤسسات الإنتاجية وخارجها، كما وجهت ضربة قوية للفئات المتوسطة التي أصبحت تعيش أوضاعا هشة ومتردية.

(للمزيد من الاطلاع انظر دراستنا تحت عنوان "**في سمات وخصائص العولمة الرأسمالية الجديدة**"، منشورات "النهج الديموقراطي" ضمن كتاب "عولمة النضال ضد عولمة الرأسمال").

ب - نظرية الأدراج، (أدراج أو مجموعات أفراد بدل طبقات اجتماعية)

اتجاه أول:

يحلل المجتمعات الغربية باستعمال مصطلح **أدراج (ستراد)** بدل مصطلح الطبقات، و حسب هذه النظرية ليس هناك بين **الأدراج علاقة استغلال** و **لا تناقض عدائي**، فقط **اختلافات** في **مستوى الثروة** و **الحظوة**، و هناك بين هذه الأدراج **حركة اجتماعية تلطف** الحدود، **فبدل صراع الطبقات يجب الكلام هنا عن إرادة التقليد و الرغبة في الصعود من طرف كل فرد نحو الأدراج العليا.**

اتجاه ثاني:

نظرية ثانية يطلق عليها أطروحة **المجتمع المنطاد** و **مجتمع الخذروف** (ترومبية باللهجة المغربية) و هذه النظرية، هي التي أصبحت التصور المسيطر حول فهم البنية الاجتماعية للمجتمعات المعاصرة و المتطورة (في الدول الرأسمالية الكبرى).

فحسب هذه الأطروحة، فإن **تبرجز** الطبقة العاملة و ظهور **النظام الأجري الجديد ساهم في ولادة طبقة متوسطة واسعة منسجمة نسبيا** من وجهة نظر مستوى حياة العيش و الثقافة، **تتموقع بين قطبين**، ففي أدنى الهرم هناك **أقلية من المهمشين** و في أعلاه توجد **أقلية من المحظوظين بدأت تفقد شيئا فشيئا تأثيرها، بسبب الإمكانيات التي توفرها الحركية الصاعدة التي يمنحها المجتمع**. إن هذه الصورة حول **توسيط المجتمع** التي يتبناها العديد من علماء الاجتماع من قبيل **هنري ميندراس** الذي يفضل الحديث عن **كوكبة مركزية** بدل طبقة متوسطة، فهو يرى أنه بدل الطبقات **هناك مجموعات أفراد يتمفصلون ليشكلوا المجتمع، ومن هنا يتم تصويرها كوكبة**.

و سواء تحدثنا عن تراتبية أو عن توسيط أو عن كوكبة مركزية، فهناك ابتعاد عن الرؤية القائمة على الثنائية القطبية و العدائية الطبقية بين طبقتين التي طرحها ماركس.

ويضيف هؤلاء، أن الإحساس بالانتماء إلى طبقة اجتماعية قد ضعف يوما بعد آخر، و قليلون هم من لا زالوا يصنفون أنفسهم كعمال أو بورجوازيين (بل أكثر من هذا، فحتى الحديث عن الرأسمالية توقف، و بدأت تستعمل مصطلحات من قبيل الاقتصاد العالمي أو الأمريكي أو الأوروبي أو الصيني، بينما من **يتموقعون في الطبقة المتوسطة أصبحوا أغلبية ضمن مجموع السكان**. إن الفئات الاجتماعية الوسطية تتزايد، و تضم هذه الفئات المهن الوسيطة و أغلبية الأطر بالإضافة إلى العديد من المستخدمين. **ومن غرائب الأمور فإن هذا أدى إلى انمحاء الطبقة المتوسطة نفسها، لأنها لم تعد تتوسط طبقتين قويتين ومتناقضتين، لقد فقدت خاصيتها المتمثلة في كونها وسطية**.

الطبقات الجديدة

إن الأزمة الاقتصادية لنهاية القرن العشرين و انتشار الفقر، الذي صاحبها كان سببا في ظهور انقسامات جديدة داخل المجتمع و ظهور تراتبية جديدة يمكن ملاحظتها في الواقع.

1- بالنسبة لنهاية البروليتاريا و البورجوازية، إذا أخذنا بعين الاعتبار فرنسا، فسنجد أن فرنسا اليوم لا تشبه فرنسا منتصف القرن 20، حيث كانت تسيطر الفوارق الاجتماعية بشكل كبير، و عموما فعلماء الاجتماع البورجوازيين المعاصرين يتفقون على فكرة **اختفاء** صراع الطبقات، بل

و الطبقات نفسها، و هناك اتفاق نسبي حول حركة اتساع القطاع الثالث، قطاع الخدمات و انتشار النظام الأجري، فإن التحاليل الخاصة **بالتوسيط المجتمعي** قد ظهر فيها خلاف كبير، فهناك من يعتبرون أنه إذا كان من طبقة ما زالت موجودة فهي البورجوازية (**بورجوازية بدون طبقة عاملة...!!!)**، و المقصود بها تلك العائلات المالكة و المستمرة في قمة المجتمع منذ أجيال عديدة، و هناك رجال الصناعة و رجال الأعمال و رجال المال يتجاورون مع من يملكون مستغلات زراعية و المقصود هنا كبار الموظفين و الجنرالات. إن هذه الجماعة **تتحدد بملكيتها لوسائل الإنتاج** جنبا إلى جنب مع ممارسة السلطة الاقتصادية كرؤساء مدراء عامين.

أما التحليل القائل **بنهاية العمال** فهو يثير نقاشا كثيرا، فهم لا يتعدون حسب زعمهم **ربع الساكنة النشيطة،** والحال أن مجموع العمال و المستخدمين يمثلون **60% من الساكنة النشيطة على امتدا د 40 سنة الأخيرة،** إذن نحن بعيدون عن فكرة اختفاء الطبقات الشعبية، فما وقع بالفعل، فهو انتشار للقطاع الثالث، **قطاع الخدمات،** الشيء الذي جعل العديد من العمال ينتقلون إلى وضعية **مستخدمين** دون أن تتغير وضعيتهم الاجتماعية، و هذه الفئة تمسها البطالة بشكل كبيرو الانحسار في وضع اجتماعي.

تعليق أولي:

تنطبق قولة فرنسسكو دي غويا في سنة 1799 و القائلة ب **"أن نوم العقل يولد الوحوش"**، على هؤلاء المسمون علماء الاجتماع، الذين يتساءل المرء عن مستوى غبائهم و غياب يقظة عقولهم، لكن لا غرابة إذا علمنا أن السياق الذي انتشرت فيه مثل هذه الأطروحات، قد كان مؤطرا من طرف المخابرات المركزية الأمريكية بملايير الدولارات، و السخاء في ذلك، مما أسال لعاب العديد من الأكاديميين و المثقفين، اللذين انبروا للدفاع عن الرأسمالية العالمية و محاربة الشيوعية في إطار ما سمي بالحرب العالمية الفكرية، و لن ندخل في تفاصيل هذه الحرب التي شنت ضد الفكر الماركسي و ضد الاشتراكية. (و في هذا الصدد ندعوا المناضلين إلى قراءة كتاب " **مثقفو الحرب العالمية، من يدفع لكتاب الماركسية الغربية** ؟" غابرييل روخيل، و هو كتاب باللغة الانجليزية. إشارة: ستتم ترجمة الأفكار الأساسية لهذا الكتاب إلى اللغة العربية لاحقا).

إن القارئ الذي يستعمل العقل و المنطق، أو لنقل، ذو عقل يقظ، ليدرك بسرعة تهافت هذه الخطابات ذات الصبغة الإيديولوجية البعيدة عن العلم و المعرفة الموضوعية، فعل يعقل أن توجد بورجوازية بدون بروليتاريا؟ و هل يعقل أن يتم القبول بفكرة تحول المجتمع إلى الوسط خارج وجود البورجوازية و البروليتاريا؟ و هل يقبل العقل المنطقي فكرة توسيط المجتمع مع انقراض الطبقة المتوسطة؟ أما الحديث عن لا أحد اليوم يتكلم عن انتمائه إلى الطبقة العاملة

أو البورجوازية فمجرد هراء في زمن أصبح البرجوازيين يتنطعون و يتفاخرون بممتلكاتهم جهارا ("على عينيك يا بن عدي" باللهجة المغربية) .

هكذا إذن، تم القضاء على الصراع الطبقي و أصبح بدله "صراع المواقع"، حيث كل واحد في المجتمع يبحث عن مصلحته الخاصة، و ينافس من أجلها، إضافة إلى أن الدينامية الاجتماعية، أو لنقل أن الارتقاء عبر السلم الاجتماعي يقوم بدور التلطيف، أما عن اختفاء الطبقة العاملة فحدث و لا حرج.

هكذا، فبجرة قلم حطم المثقفون العضويون للبورجوازية الأدوات العلمية و الثورية لتغيير المجتمعات، من قبيل مفهوم الطبقات الاجتماعية و صراع الطبقات كمحرك للتاريخ و غيرها. و الحال أن هذا القطيع من فرسان البورجوازية أنصار الفرازيولوجيا، أغلبهم لم يقرأ ماركس، و إذا قرأ بعضهم فلم يفهم تماما، بحكم الحاجز الطبقي لانتمائهم الاجتماعي، فهم يرون غريزيا أن المجتمع الرأسمالي الطبقي مجتمع أبدي و فوق التاريخ.

أضف إلى هذا، فجل هؤلاء المسمون علماء الاجتماع لم يدرسوا الماركسية في سياقها التاريخي بأبعادها الاقتصادية و الفلسفية و السياسية و الإيديولوجية، فلم يكن ماركس مجرد مناضل كتب أسطرا عن الطبقات الاجتماعية و صراع الطبقات، و عن القطبية الطبقية بين البورجوازية و البروليتاريا، فقد كان ماركس عالما و مؤسسا لعلم جديد هو المادية التاريخية، علم التشكيلات الاجتماعية و أنماط الإنتاج، و تمفصلها، و الطبقات الاجتماعية و الفئات و الشرائح الاجتماعية، و الإيديولوجيا و الوعي الاجتماعي، و ما كان لماركس أن يقوم بذلك لو لم يكن مسلحا بالمادية الديالكتيكية فلسفة و علما و منهجا.

و لعل أشهر كتب ماركس كتاب الرأسمال، و هو في نفس الوقت كتاب في الاقتصاد السياسي و منهج ديالكتيكي طبق على موضوع علم هو علم الاقتصاد السياسي، إن لم يقرأ كتاب الرأسمال فلن يدرك أبدا مغزى و معنى الطبقات الاجتماعية و نظرية صراع الطبقات و محرك التغيير الاجتماعي، و من هنا سذاجة ما يعلنه أصحاب النظريات البورجوازية حول الطبقات الاجتماعية و منظور ماركس لذلك، ثم إن الماركسية لم تتوقف عند ماركس، فقد قام لينين بمتابعة أعمال ماركس و تطويرها في سياق آخر هو سياق الامبريالية باعتبارها أعلى مراحل الرأسمالية، و ساهم تلامذة ماركس و لينين في تطوير النظرية في مجالات متعددة لا يمكن معها الحديث بموضوعية عن الماركسية دون الاطلاع عليها. و إنه لمن باب السخافة أن يتحدث المرء عن اختفاء الطبقة العاملة و نهايتها و يدعي ذلك و لا يعلم شيئا عن أبجديات الاقتصاد السياسي الماركسي – اللينيني، من قبيل نظرية التراكم الرأسمالي، و تمظهراتها الحديثة في ظل العولمة، و كذلك نظرية

التطور اللامتكافئ اللينينية، التي تعلمنا كيف تنتقل مواقع الريادة في النظام الرأسمالي من بلد لآخر، إننا لا نسوق هذا من باب الاستعلاء، فبالنسبة لعلماء الاجتماع البورجوازي، اللذين ينطلقون من نزعتهم الأوروبية المركزية معتقدين أن الرأسمالية لا توجد إلا في المراكز الغربية متجاهلين التطور غير المتكافئ للرأسمالية و حركية الرأسمال، و معتقدين أن تقلص أعداد الطبقة العاملة في بعض الدول الرأسمالية الغربية يعني نهاية الطبقة العاملة.

و لننظر عن قرب إلى المسألة. إن عدد العمال على الصعيد العالمي يفوق المليارين حسب أرقام سنة 2019، و ذلك من بين 3 مليار و 300 مليون من المستخدمين، و يشكل هذا الرقم 60% من الساكنة النشيطة، في العالم و تقول الإحصائيات أن هذا العدد قد ازداد بنسبة 25 % بين سنتي 2000 و 2019، و تضم هذه الطبقة العاملة، العمال اليدويين و اللذين يقومون بالأعمال التنفيذية في مجالات الصناعة و اللوجستيك و النقل و المناجم و الخدمات. و إذا كانت عملية التراكم الرأسمالي في السنين الأخيرة قد أدت إلى نقل العديد من المصانع و المؤسسات الإنتاجية إلى بلدان أخرى بحثا عن التنافسية، الشيء الذي أدى إلى تراجع في بعض فئات الطبقة العاملة في بعض الدول الرأسمالية الغربية، بينما عرفت بلدان أخرى التي نقلت إليها هذه الصناعات ارتفاعا كبيرا في عدد العمال.

إن الرأسمالية نظام عالمي، و كل لا يتجزأ، يضم مراكز و أطراف، و من يتحدث عن الرأسمالية عليه أن يرى هذا الطابع الشمولي و إلا سيكون هناك تضليل و تدليس، فلننظر إلى الأرقام لنقف على الحقيقة كما هي:

قطب الطبقة العاملة

البلد	عدد العمال
الصين	770 مليون (2024)
الهند	607 مليون(2024) من بينها 144 مليون عامل زراعي
فرنسا	5 ملايين و 900 ألف (2019)
و م أ	13 مليون، 19% من الساكنة النشيطة (2019)
اليابان	69،2 مليون (2023)

أوروبا 77 مليون منها 36 مليون عمال مؤهلين، و 41 مليون غير مؤهلين

قطب البورجوازيين و الأكثر غنى:

إن هؤلاء الأكثر غنى في العالم يشكلون 3428 شخصا (الحلقة الضيقة) يزدادون بمعدل متوسط 400 شخص في السنة، و يمتلكون أملاكا و أصولا تمثل 20ألف و 100 مليار دولار، و على رأسهم يتربع إيلون ماسك ب 839 مليار دولار.

إن حوالي 1% من هؤلاء الأغنياء يمتلكون 43% من ثروات العالم حسب مجلة فوربس (10 مارس 2026).

الفئات المهمشة:

يشكلون مليارا من البشر، و إذا أخذنا الفقر المتعدد الأبعاد، فيعدون ب مليار و 100 مليون، من بينهم 700 مليون يعيشون في فقر مدقع، و في إحصائيات أخرى يقدر هؤلاء الفقراء ب 800 مليون، و حسب برنامج الأمم المتحدة للتنمية يشكلون مليارا و 100 مليون، 21% من ساكنة العالم، و تتمركز أغلب الفئات المهمشة في دول الجنوب.

حسب تقرير الاتحاد الأوروبي، ففي أوروبا يعدون ب 94 مليون،21 % من ساكنة أوروبا و يعانون من التهميش الاجتماعي و الفقر.

و في الولايات المتحدة الأمريكية، حسب إحصائيات 2023 – 2025، يبلغ عددهم 36 مليون و 800 ألف شخص، 11% من الساكنة، جلهم يعيشون تحت عتبة الفقر.

الطبقات المتوسطة:

تعرف هذه الطبقة وضعا متناقضا، فهي من جهة عرفت تزايدا في بعض البلدان، بينما تراجعت تراجعا كبيرا في بعض البلدان الأخرى، و يمثل هذا التطور المتناقض في اتجاه الزيادة في الصين و في اتجاه التراجع في دول الغرب الرأسمالي.

و بحسب المعايير المستعملة في تحديدها، فهي تتشكل من مليار و 800 مليون حسب "مرصد اللامساواة" و بين 400 و 500 مليون حسب اللذين يموقعونها بين 30% الأكثر فقرا و 20% من المرفهين.

و تعاني الطبقة المتوسطة في الولايات المتحدة من التضخم و تراجع القدرة الشرائية لديها، و يتراجع عددها باستمرار، تعاني من الهشاشة المالية و تلجأ لأعمال حرة من أجل التعويض، و خلال 2025 تبخرت 500 مليار من مدخراتها، التي تم استهلاكها بسبب التضخم و ارتفاع الأسعار و ارتفاع أسعار الخدمات و الإيجارات، ف 1% في الولايات المتحدة، ممن ينتمون إلى ذوي الدخل الأعلى يملكون ثروة مجموع ثروة الطبقة المتوسطة، و مما زاد في تراجع وضعيتها الزيادة في نسبة تكاليف العيش، و كذلك ارتفاع كلفة الإنتاج، و تلعب هذه العوامل دورا أساسيا في الصراع الدائر بين الطبقة المتوسطة و البورجوازية.

حسب تقرير لوول ستريت جورنال حول الطبقة المتوسطة الأمريكية، فهناك صدمة الأسعار المستمرة و طول مدة التضخم، و قد نتج عن ذلك تغيير السلوك الاستهلاكي و إطفاء الضوء طيلة الوقت في المنازل.

الفلاحون:

حسب إحصاء 2019، يشكل الفلاحون، أي المشتغلون في النظم الزراعية و الغذائية حول العالم مليار و 23 مليون، بمعنى أن نصف سكان العالم يعيشون على الفلاحة، و يعملون ف 500 مليون مزرعة أسرية، و تشكل هذه العمالة الزراعية 793 مليون شخص في آسيا، و 290 مليون في إفريقيا، و تمثل الزراعة الأسرية الشكل السائد عالميا (المزارعون ، الرعاة و الصيادون) أما المزارع الصغيرة أي التي تستغل أقل من هكتارين، فتمثل 86% **من** إجمالي المزارع في العالم، و تتوزع العمالة على الشكل التالي:

897 مليون شخص في الإنتاج الزراعي الأولي، و 375 مليون مرتبطون بالنظم الغذائية، و تمثل الزراعة محركا رئيسيا للتشغيل، و أكبر الدول الزراعية هي الصين و الهند.

لقد أوردنا هذه الأرقام رغم عدم دقة بعضها، بل يمكن مراجعة بعضها إلى الأعلى، فقط للكشف عن الطبيعة الإيديولوجية لعلم الاجتماع البورجوازي القائل بتوسيط المجتمع عن طريق الزعم بوجود أقلية من المهمشين و أقلية من المحظوظين، و بينهما تتموقع الطبقة المتوسطة التي تشكل أغلبية المجتمع، مما يعني اختفاء الصراع الطبقي و الثنائية القطبية الاجتماعية التي قال بها ماركس، و كذلك اختفاء الهوية الطبقية سواء بالانتماء إلى البورجوازية أو إلى البروليتاريا، و بدل الصراع الطبقي ظهر ما يسمى بصراع المواقع، و عملية التلطيف التي يقوم بها السلم الاجتماعي.

إن كل خصوم الماركسية يبثون الغموض حول الأطروحات الماركسية ليسهل عليهم تدميرها و تحطيمها، كما لو أن ماركس لم يكن يعلم أن البورجوازية ستتطور و معها البروليتاريا، فقد تكلم ماركس في **"البيان الشيوعي"** عن تطور البورجوازية التاريخي، الذي يلازمه تطور البروليتاريا كذلك، و هذا بحكم تطور القوى المنتجة، الذي يغير باستمرار في علاقات الإنتاج، ثم إن دينامية النظام الرأسمالي و قوانينه تعمل باستمرار على خلق قطبية اجتماعية تجمع بين الغنى و الفقر، و هو ما يسميه ماركس بالتفقير النسبي و التفقير المطلق، الذي يتولد عن تطور الرأسمالية باستمرار بحكم ارتفاع التركيب العضوي للرأسمال، الذي يدفع إلى التقليص من اليد العاملة و الاحتياج إليها ضرورة كذلك، كجيش احتياطي يستعمل للضغط على الأجور .

إن عملية التراكم الرأسمالي تنحو على هذا الشكل، من حيث التأثير على الطبقة العاملة، و كذلك مختلف الطبقات الاجتماعية الأخرى، فلقد ظهرت ما يسمى بالنيوليبيرالية كعدو للطبقات المتوسطة التي كانوا يحتاجون إليها إبان الحرب على الماركسية و الشيوعية و محاربة الاشتراكية سواء في المراكز الرأسمالية أو في بلدان الأطراف، التي كان البنك الدولي يدعو إلى خلق طبقة وسطى تشكل صمام أمان ضد الشيوعية في هذه البلدان، أما الآن فقد تغير الوضع في ظل اختلال موازين القوى على الصعيد العالمي، حيث أصبحت الطبقات الوسطى علة على الرأسمال الكبير، الذي يدعو إلى تقليص ميزانية الدولة و الصحة و التعليم و تبضيع كل شيء، و هذا هو السبب الحقيقي لتوقف السلم الاجتماعي، الذي كان يسمح لهذه الفئات بالترقي الاجتماعي عن طريق التعليم.

-انبثاق فئة جديدة من السكان: المهمشون

لقد أصبحت البطالة ظاهرة اجتماعية و اقتصادية مستديمة، و من المعلوم أن المعطلين لا يمثلون طبقة و لا فئة اجتماعية **مستقرة** يمكن تحديد صفاتها، و لكننا لا يمكن تجاهلها لأن هناك من الأجراء من يعيشون في **المجهول** فيما يخص إيجاد عمل، فالعطالة أصبحت **طويلة الأمد** أي **مساوية لسنة أو أكثر** و أصبح العمل **هشا**. و هناك أشكال العمل الذي يتموقع على حدود **النشاط** أو **اللانشاط** مثل **تداريب إعادة الإدماج** و التي تجعل الفرد ينتقل من فترة **النشاط** إلى **العطالة** ثم **النشاط** بعد ذلك ... و هكذا تتأسس **عطالة مستديمة** يمر منها العديد من الأفراد بشكل منتظم. إن وجود **فئات مهمشة** و **خارج عمل قار** (المهمشون) يساهم بشكل كبير في الضغط نحو التخفيض للفئات الشعبية، التي لها حظ التوفر على شغل.

و يقول **لويس شوفان** :

"لا يجب أن نعارض التهميش بالاستغلال، و بإمكان المفهومان أن يعززا بعضهما البعض".

إن التهميش يمكن أن يكون سببا في تناقضات عدائية جديدة. أي **بين من هم في الداخل، و اللذين يتوفرون على تعويضات مرتفعة و عمل قار، و يشاركون في المجتمع، و أولئك اللذين هم من الخارج و يعيشون في العطالة و هشاشة الشغل و صعوبة الانخراط في مجتمع الاستهلاك، و يعيشون تدهورا حقيقيا لصورتهم الاجتماعية.**

و يرى **سيرج بوغام** أن مجتمعاتنا الحديثة ستنزلق تدريجيا من **التعارض بين منهم في الفوق** و**بين من هم في الأسفل** إلى **تعارض بين من هم في الداخل ومن هم في الخارج**. و من الممكن أن **يتعايش التعارضان** في نفس الوقت.

و عموما، فإن تعريض الشغل للهشاشة و الإبقاء، بل الزيادة في فوارق الدخل و فوارق النجاح المدرسي و الولوج إلى المعلومة لبعض الأفراد اللذين يعيشون في عزلة بسبب صعوباتهم، أضف إلى هذا بطء التقدم في السلم الاجتماعي، كل هذه العوامل تؤدي إلى إعادة النظر في **أطروحة التوسيط**، بل و بدأ **الحديث عن عودة حركة التمقطب الثنائي**، التي بدأت **تتبلور** منذ سنوات **1980**.

تعليق حول ما تخفيه هذه الاطروحة

تحول النزاع الطبقي إلى نزاع خاص و النزاعات الاجتماعية إلى نزاع عام

إلى حدود 1960، كانت الحركات الاجتماعية تتطور جوهريا في دائرة العمل، و كانت من تنظيم النقابات، و ابتداء من نفس السنة، بدأت النقابات تفقد احتكاريتها للحركات الاجتماعية، ذلك أن الاحتجاج لم يعد يتموقع على المستوى المهني فقط، بل اتسع ليشمل مظاهر حياة الأفراد.

في حقيقة الأمر، كانت الوضعية العالمية تتغير لصالح اختلال في موازين القوى على الصعيد العالمي، و على مستوى الأقطار الرأسمالية المركزية، ذلك أن ما كان يسمى ب"الثلاثين سنة المجيدة" قد بدأ يلفظ أنفاسه الأخيرة، و انتقلت الرأسمالية إلى أزمة جديدة ستؤدي إلى وقوع حدثين أساسيين، أولهما، انطلاق ما يسمى بالعولمة الجديدة للرأسمال، و سقوط رأسمالية الدولة للاتحاد السوفياتي و المنظومة الشرقية التابعة لها نهاية ثمانينات القرن 20، و كان قد سبق ذلك سقوط الصين الثورية في يد التحريفيين الجدد من أمثال هوا كيو فيينغ و ديانغ سياو بينغ.

لقد كان لهذه الأحداث الثلاثة انعكاس كبير على الصعيد العالمي تولد عنه هجوم واسع للرأسمال العالمي، في إطار ما يسمى النيولبرالية (التاتشرية و الريغانية)، التي هيأت لها الهزيمة التاريخية للطبقة العاملة و الأحزاب الشيوعية في الغرب، حيث تم تجريد الطبقة العاملة من أسلحتها الطبقية السياسية و النقابية، التي أصبحت تدور في فلك الرأسمال. و في هجوم إيديولوجي شرس قامت به الرأسمالية العالمية بواسطة كلاب حراستها من إعلاميين و مفكرين مرتشين و منخرطين في الحرب ضد الشيوعية، و تم تشجيع أشكال جديدة للنضال الاجتماعي و السياسي، قطاعية و محلية و محدودة الأفق، بحيث أصبح تغيير المجتمع و النظام الاجتماعي منعدما، و تم الترويج للتغيير عبر الإصلاحات الجزئية، و تجريم الثورات التاريخية الكبرى من قبيل الثورة الروسية و الثورة الصينية و الثورة الثقافية الصينية بعدما تم تجريم الماركسية و الشيوعية و تشويههما، و قد شكلت العولمة بمبادئها الأساسية الأرضية الاقتصادية لهذه التحولات، و بالفعل تمت محاصرة الطبقة العاملة في مراكزها الأساسية المتبقية في الغرب، و الضغط عليها بجحافل الملايين من المهمشين و المعطلين بدون شغل.

و في ظل غياب الايديولوجية الثورية نشأت "الحداثة" كفلسفة و تصور للفردانية مقابل الجماعية و المشاريع الاشتراكية لتحرير المجتمع، و تأثرت الحركات الاجتماعية الجديدة بهذه الأوضاع فدخلت في نضالات بدون سقف استراتيجي و سقطت في فخ الرأسمالية المعولمة، نضالات بدون أفق وحدوي و تحرري، و بأساليب سيظهر لاحقا فشلها و عبثية نتائجها.

تعليق حول الأسباب :

يرى **آلان تورين** (عالم اجتماع فرنسي) أن النزاعات الطبقية لما يسميه المجتمع **"ما بعد الصناعي"**، لم تعد ذات صلة بملكية وسائل الإنتاج أو الاستحواذ على الربح، و قد **تحولت نحو القدرة على توجيه اختيارات المجتمع ومستقبله** و **سيرورته**، بمعنى آخر، يريد الناس التأثير في التوجه الذي يسير عليه المجتمع، و في واقع الأمر فإن المعارك الطبقية في الماضي قد تركت المكان **لتعددية مطلبية فئوية**، أي خاصة بمطالب فئات اجتماعية، و فئات من الأفراد من قبيل المثليين و أولئك اللذين بدون مأوى و اللذين لا يتوفرون على أوراق الهجرة و الطلبة، و هذه المطالب **تتوجه إلى الدولة باعتبارها مشرعا** و باعتبارها **هيئة للتوازن الاقتصادي و الاجتماعي** و **لا تتوجه إلى مالكي الرأسمال**.

تعليق حول تلخيص الكاتب حول ما هو سائد دون شرح أسبابه ومعانيه (النضال الديموقراطي ومطالبه)

بالعودة إلى موضوع **مأسسة نزاعات العمل** (انظر المقالات السابقة حول اندماج الأحزاب الشيوعية و النقابات في النظام الرأسمالي، الصادرة في موقع "الشرارة"، سلسلة "البروليتاري") تفسر لنا هذه الدراسة بشكل كبير تراجع الحركات الكبيرة للنضالات العمالية، و بالتالي **تطبيع** العلاقات المهنية. إن النزاعات الاجتماعية الجديدة تعيد النظر في التدبير الشمولي للمجتمع، و تعبر عن الدفاع عن الشخص الإنساني بكل المعاني و الأبعاد، لقد أصبحت المطالب **أقل فأقل كمية** و **كيفية أكثر فأكثر**، و في غالب الأحيان، **تعبر عن هوية محددة** (العاطلون، المصابون بالسيدا و اللذين لا يتوفرون على مأوى ...).

و يخلص أصحاب هذا الرأي إلى أن **التناقضات بين التدبير الواقعي للمجتمع وانتظارات الأفراد هي التي تشكل محرك الحركات الاجتماعية**، و قد سميت هذه الحركات **بالحركات الاجتماعية الجديدة** لأن رهاناتها و غاياتها و أشكال تعبئتها تبتعد عن تلك النزاعات المتمحورة جوهريا حول العمل، و إنها لا تقودها النقابات و تتجاوز بشكل واسع العالم العمالي.

تعليق حول المحرك وعلاقة الجزء بالكل

فضاءات جديدة للتعبئة

إن **الدائرة الاقتصادية** لم تعد تلك **البؤرة** التي تتجمع فيها أكبر التعبئات الجماعية، و قد كانت تجري **داخل المؤسسة الإنتاجية**، و كانت الحركة العمالية تغير المجتمع من خلالها بالتأثير على العمل، و الآن أصبحت الحركة العمالية تمثل مجرد حركة اجتماعية، فهناك أنشطة أخرى تجري **خارج المؤسسة**: اللذين لا يتوفرون على أوراق الهجرة أو المأوى و الإيكولوجيين ... بل هناك حركات تأخذ طابعا محليا أو عابرة للقوميات، مثال الدفاع عن موقع طبيعي، و هناك كذلك حركات استقلالية، فللمزيد من الخلط يدخل الكاتب حركات أخرى غير ذات صلة بالموضوع، من قبيل الحركة الباسكية المنادية بالاستقلال و مثيلاتها الكرسية و السافوانية ...

و يضيف الكاتب حركات النضال ضد الجوع و حماية الطبيعة و التجارة العادلة و حرية التعبير، و منع استعمال المتفجرات المضادة للأشخاص، و في هذا السياق تشكلت تنظيمات جديدة عابرة للحدود.

تعليق: أين مركز الثقل؟ الصناعة مسيطرة ومحددة، العلاقة مع الخدمات وانتقال الصناعة إلى بلدان اخرى مثال الصين و الهند و البرازيل.

ظهور فاعلين جدد

لقد عرفت العشرية الأخيرة ظهور فاعلين جدد من خلال بروز التنسيقيات الطلابية و المطلبية و التنظيمات النسائية و اتحادات المستهلكين و الأحزاب الإقليمية، و حركات البور و جمعيات المثليين و لجان العاطلين و جماعات بدون المأوى القار، و جماعات الدفاع عن اللذين لا يتوفرون على الأوراق، و جمعيات مرضى السيدا.

تعليق: استراتيجية التجزيئ وميزان القوى

تيمات جديدة

تتمحور هذه التيمات حول حقوق الأقليات، احترام الاختلافات، الحق في السكن، الحق في الحماية الاجتماعية، حقوق الإنسان، حماية الصحة، رفض العنصرية ...**النضال الديموقراطي**

صاحبت ظهور هذه الحركات الجديدة تيمات جديدة و أشكال جديدة للنضال.

استعمال البادجات من قبيل "لا تمس صديقي" و عرائض عمومية و الوقفات و الحملات الإعلامية و السهرات الموسيقية و اللوبيات و النداءات الموجهة من طرف النجوم.

في حقيقة الأمر لا تخرج هذه الأمور عن دائرة النضال الديموقراطي بمعناه العام و إن تغيرت الأشكال و الأساليب بحكم اتساع دائرة المتضررين من النظام الاقتصادي و الاجتماعي القائم.

ارتباطها بخصائص هذه الفئات

و يركز الكاتب خلاصته العامة قائلا، أن الحركات الاجتماعية الجديدة أظهرت أشكالا جديدة من الصراعات النزاعية تتجاوز عالم الشغل، **فليس هناك صراعا حتى الموت بين المسيطرين والمسيطر عليهم**، بل هناك **صراع تأثير** عن **طريق** وسائل **التواصل الحديثة**، الأنترنيت، الصحافة المكتوبة، الإذاعة من أجل تعبئة الرأي العام، **إن الهدف هو تحقيق الوعي من أجل تطوير الأشياء والتأثير على القرارات السياسية**. إن الحركات الاجتماعية الجديدة هي **علامة على أن الفرد الفاعل بإمكانه المساهمة في التغيير الاجتماعي دون أن يمر ذلك عبر ثورة**، فالمثليون مثلا يطالبون ببساطة بالاعتراف بحقوقهم في المجتمع، و يتظاهرون من أجل تحقيق هذا الحق و لتأكيد هويتهم، فالأمر هنا أيضا حسب الكاتب لا يتعلق **بصراع طبقة ضد طبقة**.

إن محرك الحركات الاجتماعية ليس منهجيا هو **التغيير الاجتماعي**، فالحركات الاجتماعية في دجنبر 1995 و في ربيع 2003 تظهر أن المجتمع المدني يعمل أساسا على **حماية المكتسبات** و **مقاومة المشاريع السياسية** التي تمس تلك المكتسبات الاجتماعية، لما بعد الحرب العالمية

الثانية، و **ليس الأمر هنا إعادة النظر في النظام الإنتاجي القائم**. و في الأخير، يمكن القول أن الحركات الاجتماعية الجديدة لم تقض نهائيا على نظام العمل.

تعليق:الاطروحة المركزية للكاتب والنضال الدفاعي للحركات الاجتماعية

يعاني النص ("النزاعات الطبقية و التغيير الاجتماعي عند ماركس"، المجلة الاشتراكية الكيبيكية) من الانتقائية و الارتباك المنهجي و عدم القدرة على التركيب الموضوعي للأفكار و غياب النظرة التاريخية التي تموقع كل شيء في سياقه : موضوعة الإنتاج و علاقات الإنتاج و القوى المنتجة و نمط الإنتاج، و غياب مفهوم السيرورة كطابع للتطور، فهناك نصوص جامدة و هناك واقع جديد يناقضها، غياب النظرة الديالكتيكية و استعمال منهج القياس بطريقة ديالكتيكية.

مراجع الجزء الأول و الثاني و الثالث و الرابع :

-"النقد الماركسي للنظرية البورجوازية حول الطبقات الاجتماعية"، (الإنسان و المجتمع، مجلة دولية).
- "في التحليل الماركسي للطبقات الاجتماعية في نمط الإنتاج الرأسمالي"، المجلة الاشتراكية الكيبيكية.
- "تحليل طبقات المجتمع الصيني" ماو تسي تونغ
- "تعريف إعادة الإنتاج الاجتماعي (لا توبي)
- "تقرير عن تحقيقات حركة الفلاحين في خونان" ماو تسي تونغ
- الدور الاجتماعي في علم السلوك الاجتماعي كشكل رئيسي للبحث السوسيولوجي البورجوازي (مجلة برسي)
- تعريف المادية التاريخية (لاتوبي)
- "العمل و الإنتاج"، كريستيان بالوا، سلسلة ماسبيرو
- "الرأسمال"، الكتاب الأول، المجلد الثالث، كارل ماركس
- "الاستغلال الرأسمالي، مدخل إلى الماركسية" بيير جالي، سلسلة ماسبيرو
- "الماركسية، الأرض، الطبقة الشغيلة العالمية"، مات هوبر
- صراع الطبقات (معجم السياسة، توبيكسيونير)
- الصراعات الطبقية في المغرب منذ الاستقلال (مجدي ماجد)
- صراع الطبقات (بدائل اقتصادية)

- رسالة ماركس إلى وايد مييير، ، 5 ماركس 1852
- المفهومان الليبرالي و الماركسي عن الصراع الطبقي (لينين)
- من نظرية حول البنية إلى نظرية حول الذات: حوار مع ألان باديو
- الطبقات الاجتماعية (نيكوس بولونزاس، دليل المناضل)
- صراع الطبقات: مجموعة مقتطفات (موقع لاتوبي)
- صراع الطبقات (المدرسة الماركسية – اللينينية لفكر ماو تسي تونغ، الدرس الأول)
- الوعي الطبقي في القرن 21، سيسيسل بيريت، ماتيوه ستزال
- الطبقة و الوعي الطبقي، أنطوان لاراش، رفائيل غريغان، (مجلة انتيكابيتاليست)
- لينين و مشكل الوعي الطبقي، إرنست ماندل
- كل السلطة للسوفياتات، قراءة في نصوص لينين حول فترة فبراير 1917- أكتوبر 1917 (الدفاتر الماركسية – اللينينية، عدد مزدوج 9 – 10)
- الثورة عبر مراحل و الديموقراطية الشعبية (موقع المادية الجدلية)
- العالم العربي: السيرورات الثورية، عناصر للتحليل، شوقي لطفي
- المفهوم الماركسي لعلاقات الإنتاج (دفاتر ماركسية – لينينية، العدد 3)
- مفهوم التناقض (مجلة الفلسفة)
- حول التناقض (آلان باديو)
- صراع الطبقات (بدائل اقتصادية)
- المبادرة الكبرى (لينين، يوليوز 1919)

علي محمود